



روى أحمد وابن خزيمة والبيهقي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن أخاف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.. الرياء)). وقد جوَّد إسناده المنذري في الترغيب، وصحح إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية، ووضعه الألباني في الصحيح.

لا حرج أن يفرح المؤمن بثناء الناس عليه، وإنما الرياء ما كانت النية فيه لغير الله، بحيث لو كان المرء وحده لم يعمل.

والرياء أبواب:

1- الرياء بالإيمان: وهو النفاق بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

2- الرياء بالجسد: بإظهار ما ينم عن الاجتهاد في العبادة، وتتكلف ظهور بقعة في الجبهة مثلاً، أو يبس في الشفتين من أثر الصيام، ومثل طأطأة الرأس في المشي، أو تشعيث الشعر كعلامة للزهد.

3- الرياء بالقول: وهو التسميع ((مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ)). (متفق عليه)، كالنطق بالحكم والآثار والمواعظ لإظهار العناية بأحوال الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر والهمس بحرف السين في حضرة الناس ليقال: ذاكر مستغفر.

4- الرياء بالعمل: كإطالة القيام والركوع والسجدة والتظاهر بالخشوع.

5- الرياء بالمكانة: كالذي يتتكلف أن يطلب زيارة العلماء وأهل الفضل والصلاح ليقال: إنه منهم.
والمدار هنا على الدافع الأساسي للعمل.

وأصل الرياء هو حب الثناء والحمد من الناس، وكراهيته الذم، والطمع فيما في أيديهم.

والعارض أثناء العبادة من ذلك لا يضر ولا يفسد العبادة.

وبعضهم يترك العمل خوفاً من أن يكون رياء، وهذا الآخر خطأ ومجاراة للشيطان، ودعوة إلى البطالة وترك الخير، فما دام

الدافع الأصلي صحيحاً فلا يترك العمل لخاطر الرياء، ولذلك قال الفضيل بن عياض "العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رباء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

طالب في حادثة سنه يتوجه للتدريس، ويظهر التوفيق، ويُعزّ عليه أن يقول: لا أعرف، ويتنقص شخصية الكبار فيقول: عندي، والذي يظهر لي، ويغلب على ظني، والذي تطمئن إليه النفس!

ويندفع للرد على غيره، والتتبّيـه المفرط على أخطاء الآخرين، وكأنهم بلا صوابات، على أنه لا يتقبل نقدهم أو تخطّيـتهم له. آخر يلهيـه فرض الكفاية عن فرض العين، ويطيل الوقوف عند الفرعيات التي قد لا يحتاجها الناس إلا في النادر، ولا يتكلـم في مسائل الإلـاحـص والأخـلـاق والـبـر (انظر مختصر منهج القاصـدين)، وما ذاك إلا لأن اهـتمـامـاتـ العامة تدور حولـها.

ثالث يفرح بالجدل وكثرة الكلام، ويتهـأـلـلـلـمنـاظـرـةـ، ويعـلـمـ الـمـبـاهـلـةـ عندـ أولـ اـحـتـكـاـكـ، وما ضـلـ قـوـمـ بـعـدـ هـدـىـ كـانـواـ عـلـيـهـ إـلـاـ أـوـتـواـ الـجـدـلـ، وـغـالـبـ ماـ يـحـدـثـ فـيـ الـمـنـاظـرـ هوـ اـسـتـعـارـضـ مـعـرـفـيـ وـلـغـوـيـ، وـسـعـيـ لـإـفـحـامـ الـخـصـمـ وـإـقـحـامـهـ وـإـظـهـارـ عـزـهـ وـتـنـاقـضـهـ أـوـ فـسـادـ مـعـتـقـدـهـ.

حين يسمع بعض الحق من خصمه يضيق صدره، وسرعان ما يضع العراقيـلـ أمـامـهـ لـعـلـهـ يـتـرـاجـعـ، فإنـ رـآـهـ مـصـرـاـ قالـ: أـنـتـ الآـنـ تـرـجـعـ إـلـىـ قـوـلـيـ وـمـذـهـبـيـ وـطـرـيـقـيـ، وـكـأنـهـ وضعـ سـوـرـاـ عـلـىـ الـحـقـ لـاـ يـدـخـلـ أـحـدـ إـلـاـ بـوـاسـطـتـهـ وـمـنـ طـرـيـقـهـ، وـبـعـدـ التـفـتـيـشـ فـيـ هـوـيـتـهـ!

وـغـالـبـ الـمـنـاظـرـ تـعـبـرـ عـنـ مـصـدـاقـ الـخـبـرـ النـبـوـيـ ((الـشـحـ الـمـطـاعـ، وـالـهـوـيـ الـمـتـبـعـ، وـإـعـجـابـ كـلـ ذـيـ رـأـيـ بـرـأـيـهـ)). (أـخـرـجـهـ أـبـوـ دـاـوـدـ، وـالـترـمـذـيـ)، وـقـالـ: حـسـنـ غـرـبـ.

قـبـلـ لأـحـدـ الصـالـحـينـ: ماـ بـالـكـلامـ السـلـفـ أـنـفـعـ مـنـ كـلـامـنـاـ؟

قـالـ: لـأـنـهـ تـكـلـمـواـ لـعـزـ إـلـاسـلـامـ، وـنـجـاهـ الـنـفـوسـ، وـرـضـاـ الرـحـمـنـ، وـنـحـنـ نـتـكـلـمـ لـعـزـ الـنـفـوسـ، وـطـلـبـ الـدـنـيـاـ، وـرـضـاـ الـخـلـقـ. الـلـوـلـ بـالـغـرـائـبـ وـالـعـجـائـبـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـمـهـجـورـ مـنـ الـأـقـوـالـ، وـكـأنـهـ يـنـشـرـ سـنـنـاـ قـدـ طـوـيـتـ، أـوـ يـحـيـيـ شـرـائـعـ قـدـ أـمـيـتـ، وـقـدـ حـذـرـ أـهـلـ الـعـلـمـ مـنـ «ـالـطـبـولـيـاتـ»ـ، وـهـيـ الـمـسـائـلـ الشـاذـةـ الـغـرـبـيـةـ الـتـيـ تـضـرـبـ لـهـ الـطـبـولـ (ـحـلـيـةـ طـالـبـ الـعـلـمـ لـأـبـيـ زـيدـ). وـأـهـيـاـنـاـ عـلـىـ النـقـيـضـ موـافـقـةـ السـائـدـ، وـالـدـافـعـ الـمـسـتـمـيـتـ عـنـهـ لـيـتـبـوـأـ مـنـصـبـاـ قـيـارـيـاـ لـدـىـ مـنـ حـولـهـ، وـلـوـ كـانـ هـذـاـ السـائـدـ مـخـالـفـاـ لـلـشـرـيـعـةـ، أـوـ قـوـلـاـ ضـعـيـفـاـ.

الـتـكـثـرـ بـالـأـتـبـاعـ وـحـشـدـهـ وـإـشـاعـةـ الـعـصـبـيـةـ بـيـنـهـمـ، وـإـقـامـةـ الـجـدـرـانـ الـعـازـلـةـ تـحـتـ ذـرـيـعـةـ الـوـلـاءـ وـالـبـرـاءـ فـيـ مـسـائـلـ جـانـبـيـةـ وـخـلـافـيـةـ وـفـرـعـيـةـ.

قـالـ الـذـهـبـيـ "ـأـنـتـ ظـالـمـ وـتـرـىـ أـنـكـ مـظـلـومـ، آـكـلـ لـلـحـارـمـ وـتـرـىـ أـنـكـ مـتـورـعـ، وـفـاسـقـ تـعـنـقـ أـنـكـ عـدـلـ، وـطـالـبـ الـعـلـمـ لـلـدـنـيـاـ وـتـرـىـ أـنـكـ تـطـلـبـ لـلـهـ!"ـ (ـسـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاءـ).

سـمـعـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ أـبـاـ دـاـوـدـ صـاحـبـ السـنـنـ يـقـولـ: هـذـاـ شـيـءـ وـضـعـتـهـ لـلـهـ، يـعـنـيـ تـأـلـيـفـ كـتـابـهـ "ـسـنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ"ـ فـقـالـ لـهـ: أـمـاـ لـهـ فـشـدـيـدـ، وـلـكـ قـلـ: شـيـءـ حـبـبـ إـلـيـ فـعـلـتـهـ!

وـفـيـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ أـنـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ قـالـ هـذـاـ عـنـ نـفـسـهـ، كـمـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ كـلـامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ "ـمـسـأـلـةـ فـيـمـاـ إـذـاـ كـانـ فـيـ الـعـبـدـ مـحـبـةـ لـمـاـ هـوـ خـيـرـ وـحـقـ وـمـحـمـودـ فـيـ نـفـسـهـ"ـ.

مـرـاـقـبـةـ الدـوـافـعـ مـنـ أـدـقـ مـعـانـيـ الصـدـقـ.

المصادر: